١١- فصل

خلافة أمير المؤمنين الواثق بالله تعالى[١]

[١٤١] **قال ابنه محمد -الذى يقال له المهتدى بالله-** : كان أبى الواثق بالله إذا أراد أن يقتل رجلا أحضرنا فى ذلك المجلس ، فبينما نحن عنده ذات يوم إذا أتى بشيخ مقيد ، فقال : إئذنوا لأبى عبد الله يعنى ابن أبى دؤاد ، وأصحابه ، وأدخل الشيخ مقيدا ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : لا سلم الله عليك ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين بئسما أدبك المؤدب ، قال الله تعالى ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾ [النساء: ٨٦] وأنت والله ما حييتنى بها ولا بأحسن منها ، فقال: ابن أبى دؤاد يا أمير المؤمنين الرجل متكلم ، فقال الواثق : كلمه فقال الشيخ : ما تقول فى القرآن ؟ فقال الشيخ : لم تسألنى ولى السؤال ، أأسأله ؟ فقال الأمير : سله فقال الشيخ لا بن أبى دؤاد : ماتقول فى القرآن ؟ فقال ابن أبى دؤاد : مخلوق ، فقال الشيخ : هذا شىء علمه النبى ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر وعثمان وعلى- رضي الله عنهم أجمعين- والخلفاء الراشدون أم شىء

---

(١) هارون بن محمد بن هارون الرشيد العباسى ، الواثق بالله : من خلفاء الدولة العباسية ولد ببغداد وولى الخلافة بعد وفاة أبيه [٢٢٧هـ] ، فامتحن الناس فى خلق القرآن وسجن جماعة ، وقتل فى ذلك أحمد بن نصر الغزالى بيده [٢٣١هـ] وكان فى كثير من أموره يذهب مذهب المأمون ، وشغل نفسه بمحنة الناس فى الدين فأفسد قلوبهم ومات فى سامراء . قيل بعلة الاستسقاء . قال ابن دحية : كان مسرفا فى حب النساء، وخلافته خمس سنين وكان كريما عارفا بالأنساب ، طروبا يميل إلى السماع . ت[٢٣٢هـ = ٨٤٧م] .انظر : تاريخ ابن الأثير (٧/ ١٠) ، النبراس لابن دحية ص٧٣.

لايعلمونه فقال : شيء لايعلمونه . فقال : سبحان الله ! شيء لايعلمه النبي ﷺ ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا علي ، ولا الصحابة ، ولا الخلفاء الراشدون ؛ وعلمته أنت ! قال : فخجل ، وقال : أقلني . فقال : قد فعلت، والمسألة بحالها ، قال : نعم .

قال : ما تقول في القرآن ؟ فقال : مخلوق ، قال : هذا شيء علمه النبي ﷺ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ رضي الله عنه والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه ؟! قال علموه ، ولم يدعوا الناس إليه . قال : أفلا وسعك ما وسعهم ؟

قال : ثم قام أبي ، فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على الأخرى ، وهو يقول : هذا شيء لم يعلمه النبي ﷺ ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولاعلي ، ولا الخلفاء الراشدون ، وعلمته أنت سبحانه الله ! انتهى[1] .

[١٤٢] وذكر الحافظ أبو نعيم في حليته[2] ، قال الحافظ أبو بكر الآجري[3] : بلغني عن المهتدي -رحمه الله- أنه قال : ما قطع أبي يعني :

---

(١) انظر : تارخ بغداد في ترجمة الواثق (١٥٣/٧) .

(٢) أحمد بن عبد الله بن أحمد ، أبو نعيم : الحافظ ، صاحب حلية الأولياء ، ت[٤٣٠هـ]. انظر : شذرات الذهب (٢٥٤/٣) .

(٣) محمد بن الحسين بن عبد الله ، أبو بكر الآجري : فقيه شافعي محدث . له تصانيف كثيرة ، منها أخبار عمر بن عبد العزيز ، ت[٣٦٠هـ = ٩٧٠م] . انظر : وفيات الأعيان (٤٨٨/١) .

الواثق إلا شيخ جيء به من المصيصة[1] ، فمكث فى السجن مدة ، ثم إن أبى ذكره يوما ، فقال : على بالشيخ ؛ فأتى به مقيدا ، فلما وقف بين يديه سلم عليه ؛ فلم يرد عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ما سلكت بى أدب الله ولا أدب رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾[النساء: ٨٦] وأمر النبى ﷺ برد السلام ، فقال: إن وعليك السلام ، ثم قال لابن أبى دؤاد سله ، فقال : ياأمير المؤمنين أنا محبوس مقيد أصلى فى الحبس بتيمم منعت الماء فمرْ بقيودى تُحَلُّ ومرْ بماء أتوضأ وأصلى ثم سلنى فَأَمَرَ به فَحُلَّتْ قيودُه ، وأمر له بماء فتوضأ وصلى ، ثم قال لابن أبى دؤاد : سله .

فقال الشيخ : المسألة لى فمرْهُ أن يحيبنى ؛ فقال : سل ، فأقبل الشيخ على ابن أبى دؤاد ، فقال له : أخبرنى عن هذا الأمر الذى تدعو الناس إليه . أشيء دعا إليه النبى ﷺ ؟ قال : لا ، قال : أفشيء دعا إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعده؟ قال : لا، قال : أفشيء دعا إليه عمر بن الخطاب، بعدهما ؟ قال : لا ، قال: أفشيء دعا إليه عثمان بن عفان ، بعدهم ؟ قال : لا ، قال : أفشيء دعا إليه على بن أبى طالب ، بعدهم ؟ قال : لا .

قال الشيخ : أفشيء لم يدع إليه الرسول ﷺ ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، ولاعثمان ، ولا علىٌ ، تدعو أنت الناس إليه ! ليس يخلو أن تقول: علموه أو جهلوه ، فإن قلت : علموه وسكتوا عنه توسعا ، وسعنا وإياك من السكوت ما وسع القوم ؛ وإن قلت : جهلوه وعلمته أنت ، فيالكع بن

---

(١) المصيصة : مدينة على نهر جيحان .

لكع، شيء يجهله النبى ﷺ ، والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وتعلمه أنت ، وأصحابك.

قال المهتدى: فرأيت أبى وثب قائما ، ودخل الحجرة فجعل ثوبه فى فيه وجعل يضحك ، ثم جعل يقول : صدق الشيخ إلى آخر ماتقدم .

[١٤٣] **وقال المهتدى** : مازلت أقول القرآن مخلوق صدرا من خلافة الواثق، حتى أقدم علينا أحمد بن أبى دؤاد شيخا من أهل الشام ، فأدخل الشيخ على الواثق مقيداً و هو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة ، فرأيت الواثق قد استحيا منه ، ورق له ، فمازال يدنيه ويقربه ، حتى قرب منه فسلم عليه الشيخ ، فأحسن السلام ودعا فأبلغ وأوجز ، فقال له الواثق : اجلس ، ثم قال : يا شيخ ناظر ابن أبى دؤاد على ما يناظرك .

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ابن أبى دؤاد ، يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة ، فغضب الواثق وأعاد مكان الرقة له ، غضبا وقال : أبو عبد الله بن أبى دؤاد يقل ويصغر ويضعف عن مناظرتك أنت ! قال الشيخ : هون عليك يا أمير المؤمنين مابك ، وأذن لى فى مناظرته ، فقال الواثق : مادعوتك إلا للمناظرة .

فقال الشيخ : يا أحمد يا ابن أبى دؤاد ، إلام دعوت الناس ودعوتنى إليه ؟ فقال أن تقول القرآن مخلوق، لأن كل شيء دون الله مخلوق، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين إنى رأيت أن تحفظ على وعليه ما نقول ، فقال : افعل ، فقال الشيخ : يا أحمد أخبرنى عن مقالتك هذه أواجبة داخلة فى

عقد الدين ، فلايكون الدين كاملا حتى يقال ماقلت ؟ قال : نعم ، فقال الشيخ: أخبرنى عن رسول اللهﷺ حين بعثه الله عز وجل إلى عباده هل ستر شيئاً مما أمر الله به فى دينه ؟ فقال : لا ، قال الشيخ : أفدعا رسول الله ﷺ إلى مقالتك هذه ؟ فسكت ابن أبى دؤاد ، فقال الشيخ : تكلم ، فسكت فإلتفت الشيخ إلى الواثق ، فقال : يا أمير المؤمنين قل : واحدة ، فقال الواثق: واحدة .

فقال الشيخ : ياأحمد أخبرنى عن الله عزوجل حين أنزل آخر القرآن على رسول الله ﷺ، فقال ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتىورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ [المائدة: ٣] أكان الله صادقا فى إكماله أم أنت الصادق فى نقصانه ، فلا يكون كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه فيكون كاملا ، فسكت ابن أبى دؤاد. فقال الشيخ : أجب يا أحمد ، فلم يجبه . فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين قل : اثنتان، فقال : اثنتان .

فقال الشيخ : يا أحمد أخبرنى عن مقالتك هذه أعلمها رسول اللهﷺ أم جهلها ؟ فقال ابن أبى دؤاد : علمها ، فقال : أفدعا الناس إليها؟ فسكت ابن أبى دؤاد ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، قل : ثلاثة ، فقال الواثق: ثلاثة .

فقال الشيخ: يا أحمد أفاتسع لرسول الله ﷺ كما زعمت ولم يطالب أمته بها ؟ قال : نعم ، فقال الشيخ : واتسع لأبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب رضي الله عنهم فقال ابن أبى دؤاد: نعم ، فأعرض الشيخ عنه، وأقبل على الواثق ، فقال : يا أمير المؤمنين قد قدمت أن أحمد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة ، يا أمير

المؤمنين ألم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ، ولأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى رضي الله عنهم فلا وسع الله على من لم يتسع له منًا ما اتسع لهم من ذلك ؟ فقال الواثق نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ ، ولأبى بكر ، وعمر، وعثمان ، وعلى رضي الله عنهم فلا وسع الله علينا . ثم قال : اقطعوا قيد الشيخ ؛ فلما قطع ضرب الشيخ بيده، فأخذ القيد فوضعه في كمه ، فقال الواثق : لم فعلت هذا ، فقال الشيخ : لأنى نويت أن أقدم إلى من أوصى إذا مت أن يجعله بينى وبين كفنى حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله عزوجل يوم القيامة ، وأقول : يارب سل عبدك هذا لم قيدنى ، وروع أهلى ، وولدى وإخوانى بلاحق واجب علىَّ ؛ وبكى الشيخ ، وبكى الواثق ، وبكينا ثم سأله الواثق أن يجعله فى حل وسعة مما ناله منه.

فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين لقد جعلتك فى حل وسعة من أول يوم، إكراما لرسول الله ﷺ إذ أنت رجل من أهله . فقال الواثق : لى إليك حاجة ؟ فقال الشيخ إن كانت ممكنة فعلت . فقال الواثق : تقيم عندنا ينتفع بك فتياننا ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين إن ردك إياى إلى الموضع الذى أخرجنى منه هذا الظالم أنفع لك من مقامى عندك ، فقال : ولم ذلك؟ فقال: لأسير إلى أهلى وولدى فأكف دعاءهم عنك ، فقد خلفتهم على ذلك، فقال الواثق : أفتقبل منًا صلة تستعين بها على دهرك ؟ فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين أنا غنى وذو ثروة ، قال : أفتسألنا حاجة ؟ قال : أوتقضيها؟ قال : نعم ، قال تخلى سبيلى إلى السفر الساعة ، وتأذن لى ،

قال أذنت لك؛ فسلم عليه الشيخ وخرج ، قال صالح : فقال المهتدى بالله: فرجعت عن هذة المقالة من ذلك اليوم ، والله أعلم[1] .

فائدة

[١٤٤] **روى الدارقطنى وشيخه ، والحاكم ، وابن عدى ، عن عمر** : «أن النبى ﷺ كان فى محفل من أصحابه اذ جاء أعرابى من بنى سليم ، قد اصطاد ضبا[2] وجعله فى كمه ليذهب به إلى رحله ، فرأى جماعة محتفين بالنبى ﷺ فقال : على من هؤلاء ؟ قالوا : على هذا الذى يزعم أنه نبى ، فأتاه فقال ، ياأحمد ما اشتملت على ذى لهجة أكذب منك، ولولا أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك ، فسررت بقتلك الناس أجمعين ، فقال عمر : يارسول الله دعنى أقتله ، فقال رسول الله ﷺ : «أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا» ، ثم أقبل الأعرابى على رسول الله فقال : واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب ، وأخرج الضب من كمه، وطرحه بين يدى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «يا ضب فتكلم الضب، بلسان فصيح عربى صريح يفهمه القوم جميعا ، فقال : لبيك وسعديك يارسول رب العالمين ، فقال رسول الله ﷺ : من تعبد ؟ قال الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ، وفى الجنة رحمته ، وفى النار عذابه . قال : فمن أنا ياضب ؟ قال : أنت رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين قد أفلح من

---

(١) انظر : تاريخ بغداد (١٩٦/٧) ، حياة الحيوان ، حرف الهمزة (١٢٩/١) .

(٢) الضب : من الحيونات الزحافات التى تعيش فى الحبال .

صدقك وخاب من كذبك فقال الأعرابى : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقا ، والله لقد أتيتك وماعلى وجه الأرض أحد أبغض منى إليك ، والله لأنت الساعة أحب إلى من نفسى ومن ولدى فقد آمن بك شعرى ، وبشرى ، وداخلى ، وخارجى، وسرى ، وعلانيتى .

فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذى هداك إلى هذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ، ولا يقبله الله تعالى إلابصلاة ولايقبل الصلاة إلابقراءة، قال : فعلمنى فعلمه النبى ﷺ الحمد لله ، وقل هو الله أحد ، فقال: يارسول الله ماسمعت فى البسيط ولا فى الرجز أحسن من هذا ، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا كلام رب العالمين ، وليس بشعر إذا قرأت قل هو الله أحد ثلاثا أو قال ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كله فقال الأعرابى : إن إلهنا يقبل اليسير ويعطى الكثير» . انتهى باختصار من حياة الحيوان الكبرى[1] .

[١٤٥] و [قيل] : وقف رجل على الواثق فقال : يا أمير المؤمنين صل رحمك، وارحم أقاربك ، وارحم رجلا من أهلك . فقال الواثق : من أنت فإنى لا أعرفك قبل اليوم ؟ قال : ابن جدك آدم ، فقال : ياغلام اعطه درهما ، فقال : يا أمير المؤمنين وما أصنع بالدرهم ، قال أرأيت لو قسمت المال بين إخوتك أولاد جدى أكان ينوبك منه حبة فقال لله درك ما أذكى فهمك فأمر له بعطاء وانصرف مكرما .

---

(١) انظر حياة الحيوان ، حرف الضاد (١٠٨/٢) .